ثقافة

الياس خوري

الرواية والرسالة السياسية

بين روايتي فيصل حوراني « المحاصرون » ورشاد ابو شاور « البكاء على صدر الحبيب » أكثر من علاقة . فهما ينطلقان من نفس البداية ، محاكمة حركة المقاومة سياسيا داخل شكل روائي ، وان اختلفا كثيرا في الموقف السياسي ، او في طريقة صياغة المواقف التفصيلية داخل عملهما الروائي . لذلك ، وقبل الشروع في مناقشة هذين العملين ، لا بد من التوقف قليلا ، امام نقطة الانطلاق. فالرواية ، بوصفها عالما مركبا من العلاقات ، لا بد لها وان تعيش المستوى السياسي بشكل مباشر او غير مباشر . غير أنها ليست رسالة سياسية بمعنى التحليل السياسي ، فالمضمون السياسي ، للرواية الكلاسيكية ، رواية الشخصيات ، يأتي من داخل شبكة العلاقات التي يستطيع العمل الروائي تقديمها . فهو حين يحمل هما سياسيا مشروعا ، يقوم بوضع هذا الهم ، او باستخراجه من داخل العلاقات الاجتماعية التي يستطيع الاطلال عليها بشكل تفصيلي او دقيق . اما عندما تصبح العلاقات الاجتماعية مجرد غطاء مكشوف ، لرسالة سياسية واضحة يحق لنا عندها ان نتساءل ، لماذا الشكل الروائي ؟ ان المضمون السياسي الذي يتناسى بشكل شبه كامل الاستقلالية النسبية للابداع الادبي ، يسقط في منزلق الاستعارة الشكلية ويفقد قدرته على الاقناع . يصبح مجرد موقف سياسي ، خاضع للنقاش . من هنا يثير الكثير من الضجيج او لا يثيره ابدا ، وهذا يعود الى طبيعة المرحلة السياسية الراهنة . ان المستوى الادبي هو شكل من اشكال الممارسة النضالية ، لكنه حين يقبل الاطار الادبي السائد ، ويرفض العلاقة الاجتماعية المحددة ، فانه يتحول الى منشور دعائي ، يمكن مناقشة قيمته السياسية في مكان آخر . أما الشكل الادبي الحقيقي ، فانه حين يضع نصب عينيه كتابة وثيقة متكاملة عن مرحلة نضالية محددة ، فانه يطرح من خلال هذه المرحلة حياة المناضلين الحقيقية وعلاقاتهم وهمومهم المباشرة وغير المباشرة ، وهو بذلك يتجاوز الاطار الى طرح جوهري للمسألة التي يعالج ، يستطيع عبر هذا الطرح أن يطال حتى القارىء الذي لا يهمه الاطار السياسي المباشر .

لكننا هنا ، امام عملين من طبيعة مختلفة . يسقطان رسالتهما الايديولوجية على الاطار الروائي. لذلك تغيب الرواية ، وتفقد الرسالة السياسية قيمتها ، لانها لو كتبت بطريقة اخرى لكانت اكثر تأثيرا وأثرا .

المحاصرون

يضع فيصل حوراني بطله « خالد فتحي عزيز » داخل حصار شامل . وحول هذا البطل ، حول حياته وعلاقاته وبطولاته ، تدور احداث الرواية . انه فدائي مضطهد ، يكتشف قصور العمل الفدائي وأخطاءه . لذلك يعزل عن كل عمل مباشر . رؤيته السياسية بالغة الوضوح . يتنبأ بالكارثة قبل وقوعها . فهو مع مشروع روجرز رافضا سياسة التطرف . ثم حين يلتقي بسميرة زوجة ابي الملاحم ، تتحول الرواية في بنائها الى الذروة ، حيث تختلط

---

* فيصل حوراني : **المحاصرون** . الطبعة الاولى . دمشق ، تموز ، ١٩٧٣ .
* رشاد ابو شاور : **البكاء على صدر الحبيب** . اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين — دار العودة ، بيروت .